سَلَّةُ النَّظَفَةِ

بَعْضُ النَّاسِ يُطْلِقُونَ عَلَيَّ اِسْمَ سَلَّةِ المُهْمَلاَتِ. أنا أَكْرَهُ هذا الاِسْمَ، ولا أُحِبُّهُ، لأَنَّنِي سَلَّةٌ مُحْتَرَمَةٌ في البَيتِ، ولِيَ قِيْمَةٌ في المَطْبَخِ بينَ الطَّناجِرِ والصُّحُونِ وغَيْرِها، هذه الأَشياءُ تَضَعُها رَبَّةُ المَنْزِلِ على الرُّفُوفِ في خَزَائِنَ لِتُحافِظَ عليْها مِن الهَواءِ المُلَوَّثِ وَالغُبَارِ، أمَّا أنا فَتَضَعُنِي على الأَرْضِ في زَاوِيَةٍ بَعِيدةٍ، وإذا احْتَرَمَتْني تَضَعُنِي في خِزَانَةِ المَطْبَخِ الأَرْضِيَّةِ.

الأَشْياءُ الّتي تَسْتَغْنِي عنها رَبَّةُ البَيْتِ، وَمُخَلَّفَاتُ الأَطْعِمَةِ والخُضَارِ تَضَعُها داخِلِي، فأَشْعُرُ بالسَّعادَةِ، لأَنَّني أُقَدِّمُ خِدْمَةً لا يَستطِيعُ غَيْرِي تَقْدِيمُها، ولكنِّي في الوَقْتِ نَفْسِهِ أَتَضَايَقُ مِن الأَشْياءِ الّتي لها رائِحَةٌ كَرِيهَةٌ.

وعندما أَكونُ في مَكْتَبِ المُوَظَّفِ، أَشْعُرُ بِراحَةٍ كَبيرَةٍ، فالمُوَظَّفُ لا يَرْمِي بداخِلِي إلاَّ الأَوْراقَ التي يُخْطِئُ في كتابَتِها، لذلك أَظَلُّ خَفيفةً ونَظيفةً.

وأَقول لكُم سِرّاً، المُوَظَّفُ الذي أنا تَحْتَ مَكْتَبِه، يَنْسَى أَحْياناً، ويُلْقِي أَوْراقا مُهِمَّةً، يُفَتِّشُ عنها يَجِدُها، ويَصْرُخُ في نَفْسِه:

_ وَجَدْتُها!.. وَجَدْتُها!..

فأَشْعُرُ بسَعادَةٍ غامِرَةٍ أيضاً.

أَمَّا الأَوْلادُ الأَشْقِياءُ في غُرفة الصَّفِّ، فَبَعْضُهم يُضَايِقُنِي كثيرا عندما يَرْكُلُني بِقَدَمِهِ، وتَتَناثَرُ الأَوراقُ قُرْبَ طاوِلةِ المُعَلِّمَةِ ويُؤْلِمُني، عندما أَتَوَجَّعُ وأَصْرِخُ لا يُحِسُّ ولا يَشْعُرُ أحدٌ بِآلامِي، ولكنني سُرْعانَ ما أَفْرَحُ عندما تَدْخُلُ المعلمةُ الصَّفَّ وتسْأَلُ الطلابَ:

_ مَنْ فَعَلَ هذا لِسَلَّةِ المُهْمَلاتِ؟..

فَيَقِفُ عَريفُ الصفِّ، يَدُلُّها على الولدِ المُشاغِبِ الذي رَكَلَنِي، وتطلبُ المعلِّمةُ منهُ جَمْعَ الأوراقِ، ووضَعَها ثانِيَةً داخِلي.

وذاتَ يَوْمٍ تَأَلَّمْتُ كثيراً، عندما أَوْقَفَتْ المعلمةُ طالبةً بجانِبي، لِأَنّها لَمْ تَحْفَظْ درسَ القراءَةِ، حَزِنَتْ الطالبةُ، وجلستْ بجانبي القُرْفُصاءَ، وأَخَذَتْ تَبْكي وتقول بصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ:

_ أنا لا أحبُّ أَنْ أكونَ مُهْمَلةً كَسَلَّةِ المُهْمَلاتِ!..

عندما سَمِعْتُها تقولُ هذا، ذهب أَلَمِي، فَقَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّني سَبَبٌ في تَشَجُّعِ الطلبةِ على الجِدِّ والاِجْتِهاد.

وفي نِهايَة كلِّ أُسبوعٍ، كانتْ الآذِنَةُ تَجْمَعُ سَلاَّتِ المُهْمَلاتِ مِن جَميعِ الصُّفوف، وتأْخُذُنا إلى صَنابِرِ المَاءِ، وتَغْسِلَنا واحدةً واحدةً، فأشعرُ بالاِنْتِعاشِ والفَرَح، لأَنّني أصبحتُ نَظيفةً، وعُدْتُ كأَنّني جديدةً. وتُعِيدُنا إلى الصفوف، كنتُ أشعرُ بالوَحْدَةِ أَثْناءَ عُطْلَةِ نهايةِ الأُسْبوع، والعُطَلِ الصَّيْفِيَّة، وأَفْتَقِدُ الطَّلَبَةَ والمُعلِّمين.

ومع مُرورِ الأَيامِ أَكْبُرُ في العُمر، وأُصْبِحُ قَديمةً، فَيَلْعَبُ بي الصِّغارُ، يَرْكُلونَنِي بأَرْجُلِهم، ويَرمونَنِي حِيناً آخَرَ، فأَتَكَسَّرُ شيْئاً فَشَيْئا،وَأَشعُرُ أنّ نهايَتي قد اِقْتَرَبَتْ فَأَحْزَنُ على نفْسِي، لِأَنَّني أَصْبَحْتُ غيرَ مُفيدةٍ لِغيْرِي ، ولمْ أَعُدْ أَصْلُحُ حتّى لِرَكْلِ الأَرْجُلِ، فيَحْمِلُني يَوْماً أَحَدُ الأولادِ ويَرْمِيني في حاوِيَةِ القَاذُوراتِ.